بسم الله الرحمن الرحيم

[تفريغ المجلس ٣٣]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا- أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ذكر الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحديث الواحد والعشرين من الأربعين التي جمعها والتي هي من أصول الدين وقواعد الشريعة، والحديث هو حديث أبي عمروٍ وقيل أبي عمرة سفيان بن عبد الله الثقفي.

الحديث الواحد والعشرون عَن أبي عمرٍو وقِيلَ: أبي عَمْرَةَ سُفيانَ بن عَبْدِ اللّهِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ قُلْتُ: (يَا رَسُولَ اللّهِ، قُلْ لِي فِي الإسلامِ قَوْلاً لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ قالَ: {قُلْ: آمَنْتُ بِاللّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ}). رواه مسلِمٌ. [٣٨]

[نبذة عن الصحابي راوي الحديث]

الحديث من طريق هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه والذي قد اختلف في كنيته، فقيل هو أبو عمرو، وقيل هو أبو عمرة، وهذا مما يقع فيه الخلاف في تحديد كنية الراوي، هل هو أبو عمرو أو أبو عمرة؟ واتفقوا على اسمه وسفيان بن عبد الله بن ربيعة بن ثعلبة الثقفي، من أهل ثقيف، أي أهل الطائف، وقد استعمله عمر رضي الله عنه وكان عاملا له، وقد روى بعض الأحاديث، خُرجت له في كتب السنة، ومنها هذا الحديث، حديثه مخرج عند مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، أحاديثه موجودة في هذه الكتب، ولم يرو له البخاري ولا أبو داود.

[حرص الصحابة رضي الله عنهم على التعلم والخير]

يقول رضي الله عنه **(قلت يا رسول الله)** فيدل الحديث على حرصه، كما تدل الأحاديث الأخرى الكثيرة على حرص الصحابة على التعلم والخير، كانوا أحرص الناس على الخير رضي الله عنهم، ولهذا ما من خير إلا وهم أولى الناس به، وهم أسبق الناس إليه، وما من خير وقد سبقوا إليه، وفاتوا فوتا عظيما، فمن بعدهم ليس إلا متبع لهم، أو مقصّر عنهم، أو منحرف عن طريقهم، فمن اتبعهم فهو الواجب، ومن خالف فإما أن يفرّط ويقصر في الطريق، وإما أن يريد أن يفوت القوم فيأتي بما لم يأتوا به فينحرف عن الطريق، فقد كانوا أحرص الناس على الخير، فمع أنهم كانوا قد قلّت أسئلتهم لرسول الله ﷺ مهابة له ﷺ واستشعارا لها، لكن كانوا يفرحون بمجيء الرجل من الأعراب فيسأل، فيتعلمون من ذلك.

[السر في مخاطبة الصحابة رضي الله عنهم للرسول ﷺ بـ (يا رسول الله)]

قال **(يا رسول الله)** خاطبه بالرسالة، فهو مسلم، وقوله **(يا رسول الله)** استشعار بما عنده ﷺ من علم، وعلما منه بأنه أوتي جوامع الكلم، وقد خص بذلك زيادة على غيره من الأنبياء، ففي بعض الروايات في الصحيحين (أعطيت خمسا) -أو قال (فُضلت بخمس)- وفي رواية لمسلم ذكر ستّا، ومنها (أوتيت جوامع الكلم)[1] أي اختصرت له اختصارا، أعظمها كلام الله ﷻ القرآن الذي أوحاه إليه، ثم الحديث النبوي، فكان ﷺ يقول الكلمات اليسيرات التي يتجمع فيها المعاني الكثيرة العظيمة (أوتيت جوامع الكلم).

فقوله **(يا رسول الله)** يخاطب النبي ﷺ وهو يعلم أنه الذي أوتي جوامع الكلم، وهو يعلم أنه النبي الرسول، الذي قد أجمعت عنده كل ملاك الفصاحة والبلاغة، ولهذا فهو ﷺ أنصح الخلق، وأصدقهم، وأفصحهم، وأعلمهم، وما اجتمعت هذه الأمور الأربعة إلا بلغت مبلغا عظيما في صدق الدعوة ووصولها، وصفائها وسلامتها، أفصح الخلق بلاغا ولغة، وأصدقهم لهجة، وأنصحهم للخلق، وأعلمهم بالله ﷻ وبشريعته.

---

[1] أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

[تعلم حُسن السؤال]

فطلب ﷺ منه النصيحة، والوصية، قال (**يا رسول الله قل لي في الإسلام**) وهذا أيضا منه سؤال، بل وحسنُ سؤال، وقد قال العلماء (**تعلم حسن السؤال كما تتعلم حسن الاستماع**) ولهذا يظفر من يحسن السؤال بالجواب وزيادة، ولربما يسيء الواحد السؤال فيقلّ نصيب فائدته في الجواب، وهذا قد أحسن السؤال ﷺ حيث طلب ما يجمع له أمور الدين.

قال (**قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا**) أي قولا جامعا كمثل الحديث الآخر الذي سيأتينا وهو قوله: (**يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي..**) فسأله ما يجمع له ذلك، كذلك هنا قال (**قل لي في الإسلام قولا لا أسأل أحدا غيرك**)، فقال ﷺ (قل آمنت بالله ثم استقم)، وفي رواية (قل آمنت بالله واستقم) وفي رواية (قل ربي الله ثم استقم)[1] وفي بعض الروايات زيادة أنه ﷺ قال (كُفّ عنك هذا) أشار إلى لسانه، أي حذره من آفة اللسان، فالحديث يعدّ من القواعد العظام لهذا الدين، ولشريعة الإسلام.

[الإسلام والإيمان]

قوله ﷺ (**قل آمنت بالله**) وقد قال له (**قل لي في الإسلام قولا**) والإسلام إذا أطلق اجتمع معه لإيمان، إذا أطلق الإسلام، فإنه يجمع الأعمال الظاهرة، والأعمال الباطنة، وإذا أطلق الإيمان فإنه يجمع الأعمال الظاهرة، والأعمال الباطنة، وإذا اجتمع الإسلام مع الإيمان فالغالب أنه يقصد بالإسلام الأعمال الظاهرة، وبالإيمان الأعمال الباطنة، ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا..﴿١٤﴾﴾الحجرات، فقوله (**قل لي في الإسلام**) يشمل الأعمال الظاهرة والباطنة، ولهذا قال ﷺ (**قل آمنت بالله**) أي حقق الإيمان بالله ﷻ، وليس المراد بذلك القول فقط، بل قول وعمل واعتقاد، ولهذا مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، هذا هو الإيمان عند أهل السنة والجماعة، يشمل هذه الثلاثة: القول، والعمل، والاعتقاد، قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان.

[1] أخرجه الترمذي (٢٤١٠) وصححه الألباني في صحيح الترمذي بنفس الرقم.

[الإيمان عند أهل السنة]

فقوله (**قل آمنت بالله**) ليس مجرد قول بل تحقيق للإيمان، أن يوحد الله ﷻ في ربوبيته حق توحيده، أن يوحد الله ﷻ في ألوهيته وعبادته، فلا يصرف شيئا من العبادة لغير الله ﷻ، بل يفرد بها الله ﷻ أن يوحد الله في أسمائه وصفاته، أن يعتقد بأن الله ﷻ موصوف بصفات الكمال، وأنه تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأن أفعاله كلها موافقة للحكمة، لا نقص فيها ولا عبث، وأنه تبارك وتعالى تنزه وتقدس وترفع عن كل نقص، وكل عيب، وكل قدح، وأنه تبارك وتعالى لا يلحقه نقص بحال من الأحوال، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في كمال صفاته، فلا نقص يلحقه ﷻ ﴿..لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ...﴿٢٥٥﴾﴾البقرة، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ﴿...وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ..﴿٦١﴾﴾يونس، ﴿...وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا..﴿٢٥٥﴾﴾البقرة، لا يثقله حفظ السماوات والأرض، ﴿..وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ق، ﴿..وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ..﴿٣٣﴾﴾الأحقاف، وقال ﷺ (إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام)[1] وقال ﷻ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾فصلت، لا يلحقه نقص أبدا.

وصفاته كلها كاملة فلا يلحقه نقص في صفاته، علمه واسع محيط بكل شيء، بصره نافذ في كل شيء، سمعه واصل لكل شيء، عدله عام وفضله، وحكمته، ولطفه، ورأفته، ورفقه، وحلمه، فصفاته على غاية الكمال لا نقص فيها، فلا يقال إنه يعلم ولكن يفوته كذا وكذا! بل علمه كامل وتام، أن يحقق هذا بقلبه، وأن ينجرّ من وراء ذلك ما يترتب بلسانه، وأن يعمل بمقتضى ذلك بأركانه، هذه حقيقة الإيمان، قول وعمل واعتقاد.

[الاستقامة]

(قل آمنت بالله ثم استقم) أي استقم على هذا الإيمان، و(ثم) هي من حروف العطف التي تفيد التراخي، فإن قلت مثلا (جاء الركب ثم المشاة) فالركب وصل أولا ثم بعدهم الماشون، فيكونون بعدهم بمدة أو

[1] أخرجه مسلم (١٧٩).

زمن أو فاصل، لكن هنا التراخي في الجملة ليس للتحقيق، فلا ينتظر حتى يحقق الإيمان ثم يستقيم، بل هو معه فهو تراخ في الجملة، قل آمنت بالله ثم استقم أي على هذا الإيمان.

والاستقامة من باب الاستفعال، ووزن استفعل أي طلب الفعل، يقال: استسقى طلب السقية، واستفهم طلب الفهم، واستأنس طلب الأنس، فاستقام هل المقصود طلب الإقامة؟ أو أن المراد الدلالة على نفس الفعل؟ لأن الأصل في الألف والسين والتاء دلالته على الطلب، ولكن قد تكون زائدة ويبقى الفعل يدل على معناه، فقد يقال: استسقى بمعنى سقى، ومثله هنا استقام بمعنى أقام نفسه على الطريق (ثم استقم) أي قوم نفسك واحمل نفسك على الإقامة على الطريق.

والاستقامة هي الوسط بين الطرفين أقام الشيء واستقام فهو وسط بين طرفين، بين الغلو والتقصير، بين الإفراط والتفريط، فالشجاعة وسط بين التهور والجبن، وهكذا في الأمور الأخرى، فالمراد بالاستقامة أن يقيم نفسه على الإيمان الذي حققه ويحققه.

[لطائف حول الاستقامة من سورتي "هود" و"الشورى"]

هذا الحديث هو على نحو ما جاء في كتاب الله ﷻ في سورتي "هود" وأيضا في سورة "الشورى"، ففي سورة "هود" قوله ﷻ ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ...﴿١١٢﴾﴾هود، فأمره ﷻ بالاستقامة، وأيضا من معه، وفي سورة "الشورى" قال ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ...﴿١٥﴾﴾الشورى، هنا وجهت الاستقامة له ﷺ أمر بها بخلاف ما في سورة "هود" أمر بالاستقامة هو من معه.

[شيبتني هود وأخواتها]

قال بعض العلماء: وجه ما جاء في الحديث حديث أبي بكر أنه قال: يا رسول الله مالي أراك شبت؟ وفي رواية: قد أسرع الشيب فيك يا رسول الله، قال (شيبتني هود وأخواتها)[1] قيل: لأن هود فيها الأمر الاستقامة ومن تاب معه أيضا، بخلاف التي في الشورى فهو أمر للاستقامة له ﷺ، (فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ

[1] أخرجه البزار (٩٢)، وابن مردويه كما في ((الجامع الصغير)) للسيوطي (١٧/٢) وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (١٦٩/٤)، وصححه الالباني في ((صحيح الجامع)) (٣٧٢١).

وَٱسۡتَقِمۡ)، أما في هود (فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ)، فأمرٌ بأن يحمل نفسه على الاستقامة، وأيضا غيره ممن تاب معه.

ومما تضمنته سورة هود وأخواتها أيضا كالتكوير، والانفطار، والانشقاق .. من أهوال يوم القيامة، علما أن الحديث (شيبتني هود وأخواتها) قد ضعفه كثير من أئمة الحديث، ووصفوه بالاضطراب، لاختلاف في سنده، فقد روي على نحو عشرة طرق كلها تختلف بعضها عن بعض، وترجح عند بعض أهل العلم الطريق المرسل من حديث عكرمة عن أبي بكر، وعكرمة لم يدرك أبا بكر ﵁، قالوا: إن وجه الشيب هنا كونه فيه الأمر بالاستقامة.

[ذكر الاستقامة في القرآن الكريم]

وكذلك الحديث هو على نحو قوله ﷻ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾الأحقاف، وفي سورة فصلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾فصلت، فالحديث على المعنى الموجود في الآيتين ففي سورة "فصلت" (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ) وفي بعض ألفاظ الحديث (قل ربي الله ثم استقم)، والآية الأخرى من سورة "الأحقاف" (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ) فهما بهذا المعنى.

ولهذا قال ﷻ ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾النساء، (وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ) أي آمن بالله ﷿ وأخلص، (وَهُوَ مُحۡسِنٞ) والإحسان في العمل أن يعمل بما جاء في شريعة الله ﷻ، وأيضا قوله ﷻ ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾فصلت، فيدخل في الدعوة إلى الله ﷻ تحقيق الإيمان، فيدخل في الدعوة إلى الله ﷻ تحقيق الإيمان، (وَعَمِلَ صَٰلِحٗا) استقام على هذا الإيمان الذي يدعو إليه، فهذه آيات مضمونها دل عليه هذا الحديث (قل آمنت بالله ثم استقم).

[من الاستقامة السداد والتقريب]

والاستقامة -كما ذكرت- هي الوسط وهي الإصابة للعمل الصالح، وفي الحديث قوله ﷺ (استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)[1] فأمر ﷺ بالاستقامة، وقال ﷺ (سددوا وقاربوا) فالسداد هو إصابة الهدف، وهو إصابة العمل الصالح، والحق، والسير عليه، (وقاربوا) أي أن تكون نية العبد أن يصيب العمل الصالح، والصواب والحق، فإن لم يستطع فإنه يقارب، فهذا أيضا مما يدل على معنى هذا الحديث (قل آمنت بالله ثم استقم).

[أمر الله تعالى لعباده بالاستقامة]

وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بأن ندعو بالاستقامة على دينه كما في سورة الفاتحة ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ الفاتحة، وهو الطريق القويم، والسبيل الحق الذي قال ﷻ فيه ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ .. ۝١٥٣﴾ الأنعام، وكما في حديث ابن مسعود أنه قال: خط النبي ﷺ خطا طويلا وعلى جانبيه خطوط صغيرة، وقال (هذا سبيل الله وهذه السبل من اتبعها قذفته في النار) ثم تلى قوله ﷻ (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ).

والدعوة إلى الاستقامة في كتاب الله ﷻ في مواضع كثيرة، قوله ﷻ ﴿۞قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ... ۝١٥١﴾ الأنعام، هذه الوصايا وما ذكر في هذه الآيات من الأمور العظيمة، وقوله ﷻ ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ۝٣٦﴾ النساء، وكذلك في آخر سورة الأنعام ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٦١﴾ الأنعام،

---

[1] أخرجه ابن ماجه (٢٧٨) والبزار (٢٣٦٧)، والطبراني (١٣/٤٤٣) (١٤٢٩٥)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة بنفس الرقم.

وقوله ﷻ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ الأنعام، فهذا من الاستقامة على صراط الله ﷻ.

[معنى الاستقامة عند السلف الصالح]

نقل في الآثار عن بعض السلف قوله (قل آمنت بالله ثم استقم) وقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) في الآيتين: أي أنهم لم يشركوا بالله ﷻ، وقال بعضهم: (اسْتَقَامُوا) أي على هذا الإيمان، ونقل عن عمر رضي الله عنه **(أي لم يروغوا روغان الثعلب)**[1]، وعن بعضهم: أي لم يلتفتوا يمنة ويسرة، وقال بعضهم (قل آمنت بالله ثم استقم) أي أخلص له ﷻ وأفرده بالمحبة والخوف والرجاء والتعظيم والخشوع والإذعان والتذلل والتوكل والدعاء والطلب، واعمل بذلك، وبمقتضياته من أعمال الشريعة والعمل الصالح، قل آمنت بالله ثم استقم.

[الاستقامة رجاء كل مؤمن]

والاستقامة هي أعظم ما يرجوه المؤمن، وأعظم ما يعطاه ويوفق له، فهي خلاصة الدين، لأن الله ﷻ أمر نبيه بذلك قال ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ.. ﴿١١٢﴾﴾، فشملت كل أمور الدين، وهذا وجه ذكر الإمام النووي لهذا الحديث في الأربعين وأنه من قواعد الدين، وهو كما قال رحمه الله وقرره كذلك العلماء، فهو شامل لأمور الدين كلها، ولقواعد الشريعة العظيمة، لأن من استقام كما أمر، وقد حقق توحيد الله ﷻ فهذا قد جاء بما أمر به، وجاء بما هو واجب عليه.

[آثار الاستقامة على العبد في دينه ودنياه]

وللاستقامة آثار عظيمة: دنيا وأخرى:

١= فأما دنيا فهي أن الله ﷻ ييسر لعبده أمره، قال ﷻ ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ الجن، فلو أن العبد يستقيم على أمر الله ﷻ فإن الله ﷻ ييسر له أمره في الدنيا، والمطلوب منك

[1] الزهد أحمد بن حنبل، الأثر برقم ٦٠٨.

الاستقامة على أمر الله ﷻ أن تستقيم على أمر الله ﷻ أن تسير على الطريق القويم الذي حددته نصوص الشريعة (وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا).

والإنسان ذكرا أو أنثى فيه كثير من الأعضاء، وكثير من المفاصل، فكل مفصل وعضو يسخره في طاعة الله ويقيمه عليها، بصره، شمه، ذوقه، سمعه، لسانه، يده، رجله، بطشه، خطاه، رأسه، بطنه، .. كل أعضائه يقيمها على طاعة الله ﷻ وعلى صراط الله، فإذا جاء ليفعل فعلا، فلينظر هذا العضو الذي يريد أن يعمل به، هذا العمل هل هو على صراط ودين الله؟ فيه الاستقامة أو لا؟ فإن كانت فيه فليمض على المعنا الذي ذكرناه (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) -في الدرس السابق- وإذا لم تكن فيه الاستقامة فليتركه، وإلا كان قد نكص عن الاستقامة على دين الله ﷻ.. فهذه فائدتها دنيا (وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا).

٢= وفائدتها أخرى: قوله ﷻ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ..﴿٣٠﴾﴾فصلت، قيل وقت النزع، وقت السكرات والاحتضار ﴿..أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ (أَلَّا تَخَافُواْ) فيما تستقبلون، وهذا من أشد ما يكون فيه الإنسان وقت النزع الذي تخرج فيه الروح، تفارق الجسد، فيصير الجسد جثة هامدة، لا تُقدّم ولا تحرِّك بين يدي من حوله، لا يستطيع أن يقدم أو أن يؤخر، هذا أشد وقت (وَلَا تَحۡزَنُواْ) أي على ما فاتكم، وما خلّفتم، ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ كنتم توعدون إن استقمتم بالجنة، فيبشرون وهم في النزع، وهم يخرجون من هذه الدنيا، ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾فصلت، النزل المكان الذي ينزل فيه، أين ينزل الإنسان إذا كان مسافرا؟ يطلب المكان الذي يرتاح فيه، كذا الجنة التي أعدها الله ﷻ، ولا مقارنة بين الأمرين (نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ)، بل قال ﷻ ﴿..وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ ..﴿٧١﴾﴾ الأحقاف، (وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) أي ما تطالبون به وتطلبونه، (نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ).﴿وَمَنۡ

أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فصلت، من الذي هو أحسن من هذا! هذه تفسر بداية الآية (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ).

وفي سورة الأحقاف ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ الأحقاف، لا خوف عليهم فيما يستقبلون، ولا يحزنون فيما مضى، فيما خلّفوا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ الأحقاف، هذه نتيجتها في الآخرة.

[من الاستقامة المبادرة إلى الاستغفار بعد المعصية]

ولما كانت الاستقامة هي المطلوبة، ولكن الإنسان يقصّر، والإنسان فيه ضعف، ويقع منه ما يقع، فإنه إذا وقع التقصير استغفر وأناب، كما قال تعالى ﴿..فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ فصلت، لم؟ لأن الإنسان خطّاء، وقد قال ﷺ (لولا أنكم تذنبون لذهب الله بكم ثم أتى بقوم آخرين يذنبون ويستغفرون فيغفر الله لهم)[١]، لكن ليس القصد الإصرار، والتقصد، وإنما قد يغفل وتزل به القدم، فيبادر إلى الاستغفار (فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ) من رحمة الله ﷻ بعباده، أشار إليهم أن التقصير والضعف شأنهم، فإن وقع منكم ذلك يا أهل الاستقامة فبادروا إلى الاستغفار الذي هو أصل عظيم، وشرط عظيم من شروط التوبة، فلا يظنن أحد أن المستقيم لا يخطئ! هذا معصوم! ولكن الاستقامة هي حمل النفس على دين الله، وصراطه ﷻ، والسعي في ذلك، وإجهاد النفس في التسديد والمقاربة، فإن وقع الخطأ بادر إلى الاستغفار فيمحو الله ﷻ عنه ذلك (فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ).

هذا الحديث حديث عظيم، ودل على فوائد كثيرة، ومنها:

١= حرص الصحابة على العلم.

---

[١] أخرجه مسلم (٢٧٤٦).

٢= حسن سؤال الصحابي ﷺ. ينبغي الحرص على حسن السؤال كما يحرص على حسن الاستماع.

٣= التأدب في طرح السؤال.

٤= خطاب المسؤول باللفظ الحسن. والتأدب في ذلك.

٥= الواجب علينا الاستقامة على دين الله ﷻ، والواجب تحقيق الإيمان، والاستقامة عليه.

٦= الاستقامة على دين الله ﷻ من أعظم قواعد الشريعة، وهو الذي أمر الله ﷻ به نبيه ﷺ ومن تبعه من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

٧= أهل الاستقامة هم أهل الفوز والفلاح دنيا وأخرى، ونتائجهم وثمراتهم قد ذكرناها كما في الآيتين.

والله تعالى أعلم.